



/ العدد: 02../2024

عنوان المقال الممارسة السوسيولوجية في الجزائر بين الأهداف الأكاديمية والمعوقات الوظيفية

ص ص 47-59

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

الممارسة السوسيولوجية في الجزائر بين الأهداف الأكاديمية والمعوقات الوظيفية

*Sociological practice in Algeria between academic goals and functional obstacles*عواطف عطيل لمواليدي¹*¹ جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف (الجزائر)، atil-awatef@univ-eltarf.dz

تاريخ النشر: 2024 / 11 / 22

تاريخ الاستلام: 2024 / 05 / 26

ملخص:

يتناول هذا المقال والموسوم "الممارسة السوسيولوجية في المجتمع الجزائري- بين الأهداف الأكاديمية والمعوقات الوظيفية" أهمية علم الاجتماع ودوره في فهم وتفسير المشكلات الاجتماعية، والكشف عن عوامل ظهورها وانعكاساتها على البناء الاجتماعي للمجتمع بوجه عام والمجتمع الجزائري بوجه خاص، وهو ما يشكل الأهداف الأساسية المتوخاة من تعلم وتدرّس علم الاجتماع، في الجامعات العالمية والجزائرية من بينها، غير أن هذه الأهداف قد تكون جزئية في تحقيقها، لاصطدامها بجملّة من المعوقات الوظيفية، التي تحول دون تحقيقها مكتملة وعلى النحو المرغوب، وقد توصلنا من خلال دراستنا الوصفية إلى ضبط هذه المعوقات، انطلاقاً من تجربتنا المتواضعة في التعليم والتأطير، حيث تمت تقيّنتها إلى أكاديمية ومؤسسية، وذلك في محاولة منا لفهمها ومعالجتها.

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع، الممارسة السوسيولوجية، المعوقات الوظيفية.

Abstract:

This intervention, tagged "Sociological Practice in Algerian Society - Between Academic Objectives and Functional Obstacles", deals with the importance of sociology and its role in understanding and interpreting social problems, and revealing the factors of their emergence and their repercussions on the social structure of society in general and Algerian society in particular, which constitutes the main objectives of the Learning and teaching sociology, in international and Algerian universities, among them, but these goals may be partial to achieving them, because they clash with a number of functional obstacles that prevent them from achieving them fully and as desired, and accordingly, this intervention will review the most prominent of those obstacles that fulfill - in our estimation - To an academic and institutional setting, in an attempt to understand and treat it.

Keywords: Sociology, Sociological practice, Functional obstacles

مقدمة

يعد علم الاجتماع من بين أهم العلوم، التي تعنى بدراسة المجتمع الإنساني في بنياته ونظمه وظواهره الاجتماعية بل والحياة الاجتماعية، من مختلف جوانبها ومناحيها (الثقافية، السياسية، الدينية، المعرفية..)، وفي الوقت نفسه يعتبر من أكثر العلوم الاجتماعية التي تتأثر بالظروف الاجتماعية والسياسية التي يمارس فيها، لتأثر منظريه وباحثيه بثقافتهم المحلية ومرجعياتهم الدينية والإيديولوجية، والسياقات الاجتماعية والسياسية والتاريخية، التي يتواجدون ويتفاعلون فيها، وعليه فالإنتاج السوسيولوجي والحال هذه، ليس بالمحايد إطلاقاً، وإنما يتأثر وبشكل دائم ومستمر، بالظروف والعوامل المجتمعية المختلفة. وأكثر من ذلك، فقد يتم استغلاله لخدمة إيديولوجيات وأنظمة سياسية معينة، ويغدو علماء الاجتماع بذلك أبقا لها، وهو ما يشكل أحد أهم المعوقات الوظيفية، التي تحول دون تحقيق الأهداف الأكاديمية للعلم، إذ يستخدم خارج نطاقه العلمي، وهو ما شهد علم الاجتماع ما بعد الفترة الكولونيالية في الجزائر، وفي العديد من المجتمعات النامية.

لقد مرت الممارسة السوسيولوجية في الجزائر، بمراحل مختلفة ومتنوعة من الكولونيالية إلى الإيديولوجية، ثم إلى التهميش والإقصاء، وعلى الرغم من الإصلاحات التي تمت على مستوى منظومة التعليم العالي، لأجل تطوير البحث العلمي، غير أن هذا العلم في الجزائر لم يرقى إلى المستوى المطلوب، ولم يثبت وجوده على الساحة الأكاديمية، من خلال إقامة الدراسات، وتوجيه البحوث في خدمة المجتمع الجزائري.

وعليه، وجب علينا كباحثين التساؤل حول وضعيته، وذلك بتسليط الضوء على المعوقات الوظيفية التي أدت إلى إحداث المفارقة بين الأهداف الأكاديمية لعلم الاجتماع، ومكانته وصورته في المجتمع الجزائري، وهو ما ترمي هذه الورقة إلى تناوله، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية: كيف تتجلى الممارسة السوسيولوجية في الجزائر؟ لماذا لم يحقق علم الاجتماع في الجزائر أهدافه الأكاديمية-العلمية؟ فيما تتمثل المعوقات الوظيفية لعلم الاجتماع في المجتمع الجزائري؟

أولاً: مفهوم علم الاجتماع

يمثل علم الاجتماع واحداً من أهم العلوم الاجتماعية، التي تعنى بدراسة الحياة الاجتماعية وظواهرها ووقائعها ومشكلاتها، وكذا العمليات الاجتماعية والعلاقات التفاعلية بين الأفراد والجماعات، بهدف فهمها وتفسيرها وتأويلها، وذلك على ضوء مقاربات منهجية مختلفة ومتنوعة، وقد وضع تسميته الحديثة "Sociologie" الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي أوغست كونت (1798-1857)، في كتابه "علم المنطق" عام 1843، وتبعه الفيلسوف الإنجليزي ستيوارت مل S. Mel، وكان يعني العالمان بهذا المصطلح "الحقيقة والمنهاج الذي يجب أن يتبعه علم دراسة المجتمع، ليكون مطابقاً للعلوم الطبيعية من ناحية طرق المنهجية، وحقائقه النظامية المترابطة، وتحرره من العواطف والنزعات النفسية، والأحكام القيمية" (دينكن، 1980، صفحة 333).

ويعد علم الاجتماع بالنسبة للمجتمعات الغربية، علم حديث النشأة، يعود إلى القرن التاسع عشر، فيما يعد علماً قديماً بالنسبة للمجتمعات العربية، ظهر قبل صياغته من طرف كونت بخمسة قرون، وقد كان الفيلسوف العربي العلامة ابن خلدون (1406-1332) المنشئ الأول له واصطلاح عليه "علم العمران البشري"، ويعني العمران لديه "الاجتماع الإنساني وظواهره"، وقد بين ضمن مقدمة كتابه الشهير "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" مجالاته، مفاهيمه، مناهجه وأطره التفسيرية. علماً أن معظم الدراسات والاستطلاعات والملاحظات التي أقامها ابن خلدون كانت حول الجماعات الاجتماعية الجزائرية، بل وحتى كتابه المذكور، قد ألفه في



الجزائر، وبالتالي فإن حديثه عن المجتمعات في ذلك الوقت، كان المقصود منه المجتمع الجزائري، بما فيه قبائل البدو.

وقد حدد ابن خلدون بوضوح، المبادئ الرئيسية التي ينبغي أن يركز عليها علم الاجتماع، ومنها: (البياتي، 2011، الصفحات 19-20)

- أن الظواهر الاجتماعية لا تخضع لقوانين ثابتة كتلك التي تحكم الظواهر الطبيعية، غير أن فيها من عناصر الثبات ما يسمح للأحداث الاجتماعية بأن تتوالى وفق أنماط منتظمة ومحددة، حيث تؤثر هذه القوانين في الجماعات، دون أن تتأثر بشكل كبير بالأفراد والأحداث المنعزلة.
 - أن اكتشاف تلك القوانين لا يمكن أن يتحقق إلا بعد جمع عدد كبير من الحقائق وملاحظة ما يقترن بها أو يليها من وقائع.
 - إن منظومة القوانين الاجتماعية الواحدة تصدق على المجتمعات المتماثلة من حيث البنية، على الرغم من تباعد هذه المجتمعات من حيث الزمان والمكان.
 - إن هذه القوانين ليست نابعة من دوافع بيولوجية أو بدنية، وإنما هي ذات طبيعة اجتماعية.
- هذا، ولم يكتفِ ابن خلدون بوضع الأسس، التي ينبغي أن يقوم وينشأ عليها علم الاجتماع، بل تجاوز ذلك إلى تحديد منهجية دراسة وتحليل الجماعات الاجتماعية، على النحو التالي: (المواليدي، 2018، صفحة 202)

- العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات، واختلاف الأمم والأمكنة والأزمنة، من حيث الأخلاق والعادات الجمعية والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، ومن ثم، لابد من توخي الحذر في التعميم.
 - الإحاطة بالحاضر وقياسه ومقارنته بالماضي، بحيث تستشف وجوه التماثل والتباين أو الفرق، وتعليل المتفق منها والمختلف.
 - الإلمام بأصول الدول والملل، ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، ودواعي كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون الباحث مستوعبا لأسباب كل حادث.
 - أن يقارن الباحث المنقول من الأخبار، بما لديه من القواعد والأصول، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا، وإن ثبت العكس، فهي مزيفة، ويمكنه الاستغناء عنها.
 - إدراك حقيقة التبدل والتغير الاجتماعي، التي تعترى أحوال العمران البشري، عبر سيرورته التاريخية، ذلك أن عوائد الأمم ونحلهم، لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر.
- هذا، وتستعين المقاربة السوسيولوجية بالدراسات التاريخية والتطورية والمقارنة والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والإثنية والدينية واللسانية.. إلخ، وهو ما يعني أن علم الاجتماع يتداخل مع مجموعة كبيرة من العلوم والمعارف المساعدة والمكملة. ومن ثم، فإنه يهدف إلى بناء نظرية عامة لوصف المجتمع ورصده بغية التحكم فيه أو إصلاحه أو تغييره أو الحفاظ عليه.
- كما يعتمد علم الاجتماع على ثلاثة مبادئ منهجية أساسية، تتمثل فيما يلي: (حمداوي، 2015، صفحة 10)

- **الفهم:** ويعنى بفهم فعل الفرد في إطار نظرية التأثير والتأثر أو في إطار نظرية التفاعل الاجتماعي، حيث يتم التركيز على فهم المعاني التي يتخذها الفعل الفردي داخل المجتمع المعطى.
- **التأويل:** ويقصد منه أن فهم فعل الفاعل الفردي لا يمكن أن يتحقق إلا بمعرفة الأحكام المسبقة، وتحديد السياق المجتمعي، والانطلاق من المعرفة الخلفية، والبحث عن جميع المصادر التي تساعدنا على فهم ذلك الفعل، واستجلاء المعنى الذي يصدر عنه.
- **التفسير:** ويقوم على التفسير السببي والعلي، كربط الفعل ببنية المجتمع، أو تفسير الظواهر المجتمعية، تفسيراً ترابطياً وسببياً.

وفيما يخص فروع علم الاجتماع، فهي متعددة بتعدد ميادين الحياة الاجتماعية، ونذكر من بينها: علم اجتماع التربية، علم اجتماع الثقافة، علم اجتماع العائلة، علم اجتماع العمل والتنظيم، علم الاجتماع السياسي، علم اجتماع الإعلام، علم اجتماع الصحة، علم اجتماع الجنائي، علم الاجتماع الديني، علم اجتماع الفن، علم الاجتماع اللغوي، علم اجتماع الأدب، علم الاجتماع القانوني، علم الاجتماع الاقتصادي وعلم اجتماع المعرفة.. الخ. مما يعني أن علم الاجتماع هو علم يشمل الحياة الاجتماعية للمجتمعات والجماعات الاجتماعية، بمختلف جوانبها وميادينها (الثقافية، السياسية، الاقتصادية، الفنية، الدينية..).

ثانيا: تاريخية علم الاجتماع في الجزائر

تعود نشأة علم الاجتماع الأكاديمي في المجتمع المغربي والجزائري منه، إلى الحقبة الاستعمارية، حيث شكلت المجتمعات المغاربية ميدانا خصبا للدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية، وكان الهدف الأساسي منها هو خدمة الأغراض الاستعمارية/ أو الإيديولوجيا الكولونيالية. ففي المجتمع الجزائري دخل هذا العلم مع العديد من الباحثين الاجتماعيين الكولونيين، ليس من باب تنوير المجتمع أو توعيته، وإنما من باب خدمة المطامع الاستعمارية الفرنسية، وتمكين الاستعمار الفرنسي من بسط احتلاله ونفوذه، عبر كامل المناطق في الجزائر، وقد اصطلح على علم الاجتماع حينذاك "السوسيولوجيا الكولونيالية". علما أن هذه الفترة قد تزامنت مع نشأته في أوروبا وتحديدا في فرنسا على يد أوغست كونت **A. Comte** وذلك بين عامي 1830 و 1843. لقد مر علم الاجتماع في المجتمع الجزائري، بأربعة مراحل أساسية، نوردها على التوالي:

- **المرحلة الأولى في الفترة ما بين 1958-1963:** عرفت هذه المرحلة بالسوسيولوجيا الكولونيالية/ أو الاستعمارية، حيث تم فتح قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر ضمن كلية الآداب والعلوم الاجتماعية عام 1958، وذلك من طرف مجموعة من الأساتذة، نذكر منهم: **د. عبد الرحمن بوزيدة، د. فاروق عطية، د. عبد الغني مغربي، د. كلودين شولي، د. نور الدين حقيقي، د. سيدي بومدين، د. محفوظ سماتي**، ويعتبر هؤلاء رواد علم الاجتماع في الجزائر ويطلق عليهم اسم "الجيل الأول"، حيث تتلمذوا على يد مجموعة من الباحثين الكولونيين. غير أن تدريس علم الاجتماع في تلك المرحلة، كان مقتصرًا على أبناء فئة المعمرين دون الجزائريين، وكانت برامجه تابعة للجامعات الفرنسية "ومسطرة على مقاسها كما هو الشأن بالنسبة لكل البرامج ضمن مختلف الفروع العلمية" (نوار، 1998-1999، صفحة 135).
- **المرحلة الثانية في الفترة ما بين 1963-1971:** تميز علم الاجتماع في هذه المرحلة بأنه علم لازال يمارسه الأكاديميون الفرنسيون أنفسهم، وذلك لندرة المتخصصين الجزائريين ضمن هذا الحقل العلمي، كما أن "الدروس كانت تعطى باللغة الفرنسية، والنظام التعليمي خلال هذه المرحلة، كان من حيث البرامج والأهداف مرتبطا بالجامعة الفرنسية" (معتوق، 2004، الصفحات 74-79).
- **المرحلة الثالثة في الفترة ما بين 1971-1984:** اتسمت هذه المرحلة بهيمنة الحزب الواحد والمركزية، الأمر الذي جعل المسؤولين يستخدمون وظائفهم لتكريس إيديولوجيا النظام، كذلك جند المشتغلون في الحقل السوسيولوجي للدفاع عن الإيديولوجيا الاشتراكية (إيديولوجيا الحزب الحاكم)، وعليه فإن علم الاجتماع قد تحول من تخصص أكاديمي- علمي إلى أداة إيديولوجية، وهو ما ينطبق على الطلبة أيضا، حيث كان "الخطاب الرسمي ينظر إليهم بمثابة حماة الإيديولوجيا الاشتراكية وأبواق لها" (معتوق، 2004، صفحة 90). وضمن هذه الفترة، حظي علم الاجتماع بنوع من الاهتمام والعناية، وذلك بواسطة الإصلاحات التي أحدثت عليه بشكل



خاص، وعلى نظام التعليم العالي بشكل عام، أما فيما يتعلق ببرنامج علم الاجتماع وكذا تخصصاته، فقد كانت تعبر عن توجهات السلطة الحاكمة، وعلى سبيل المثال ولأجل تكريس الثورة الزراعية، تم فتح تخصص ريفي وحضري، وتخصص علم اجتماع الصناعي لخدمة الثورة الصناعية. وعلى العموم، فقد اتسم علم الاجتماع خلال هذه المرحلة بالخصائص التالية: (دياب، 1990، صفحة 9820)

- ظهور سوسيولوجيا وطنية ناطقة باللغة العربية، تأكدت مع قرارات عام 1971، ومرسوم 25 أوت 1973، التي استهدفت جزأة الجامعة وتعريب مناهجها، وتغيير نظمها البيداغوجية. وهكذا جاء قانون التعريب للعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة عام 1980، ولتحقيق هذا الهدف اضطرت الدولة الجزائرية إلى طلب المساعدة من المختصين المشاركة، للتدريس والسهل على تعريب الجزائريين.
- امتد تدريس علم الاجتماع في بعض التخصصات العلمية، مثل: علم النفس، القانون، الهندسة المعمارية، الجغرافيا، الإعلام والطب.. إلخ، كنوع من الإعداد للمهن ذات الطابع الاجتماعي.
- المرحلة الرابعة منذ عام 1984 إلى يومنا هذا: عرف علم الاجتماع خلال هذه الفترة تهميشا وتقزيمًا لدوره الذي لازمه في المراحل السابقة، حيث أفرغت برامجه من الشعارات والمفاهيم الاشتراكية، وأصبح المسؤولون ينظرون إليه بعدائية. بالإضافة إلى ذلك انعكاسات أحداث 05 أكتوبر 1988 على مجريات الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في البلاد، كما كان لها انعكاسات كذلك على الحقل السوسيولوجي، خاصة مع ظهور التيار الإسلاموي، أين تجسدت هيمنته على مستوى "البرامج في مقياسين: مقياس المنهجية، الذي أصبح تدرس في إطاره المنهجية الإسلامية كبديل عن المنهجية الغربية، ومقياس علم الاجتماع الإسلامي" (معتوق، 2004، صفحة 34)، ثم تراجع هذا التيار بعد المصالحة الوطنية التي أعلنتها الدولة الجزائرية، مع نهاية التسعينيات من القرن العشرين. وبدء من عام 2004 أقيمت الجزائر على تبني الإصلاح الجديد لمنظومة التعليم العالي، والمتمثل في نظام L.M.D، كما أنشأت الجامعات والأقطاب والمراكز الجامعية، وأصبح علم الاجتماع يدرس في كل جامعة تقريبًا، وتضاعف عدد الطلبة المسجلين في التخصص والأساتذة تبعًا، وأقيمت المئات من الأبحاث السوسيولوجية في المجتمع الجزائري، ضمن تخصصات جديدة، وذلك على جانبيين: النظري والميداني.

ثالثًا: التخصصات السوسيولوجية في الجامعة الجزائرية وإسهاماتها في تفسير المشكلات الاجتماعية

مع نهاية التسعينيات، بدأت تتفرع عن علم الاجتماع تخصصات متعددة، ارتبطت بضرورة تناول العلمي للعديد من الظواهر والمشكلات الاجتماعية، التي أخذت تميز الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري المعاصر، فتخصصات مثل علم الاجتماع السياسي والاتصال، قد برزت على إثر التعددية الحزبية والإعلامية، التي أعقبت أحداث 05 أكتوبر 1988، كما برزت تخصصات علم اجتماع الثقافة وكذلك التربية والعائلة، تماشيًا وانفتاح المجتمع على ثقافات اجتماعية مختلفة، فبدأت معالم التغيير تظهر على أنماط السلوك والممارسات الثقافية، وحتى المعتقدات والعادات الجمعية، نظرًا لتحول القيم والمعايير الثقافية المتعارف عليها، وذلك نتاج اتساع استخدام الفضائيات وشبكة الإنترنت. وعليه، فإن بروز العديد من التخصصات السوسيولوجية في الجامعة الجزائرية، لم يكن اعتباطيًا، بل لتراكمية عدد من



الموضوعات ضمن مجالات معينة، مما شجع على فتح التخصصات المناسبة لدراساتها، خاصة بعد تحرر علم الاجتماع من قبضة الإيديولوجيا الثورية والاشتراكية. يدرس علم الاجتماع ضمن أقسام خاصة به، تتبع كليات العلوم الاجتماعية والإنسانية، ويتوزع تدريسه على 44 مؤسسة جامعية، تتراوح بين جامعات، مثل: جامعة محمد خيضر - بسكرة، جامعة باجي مختار - عنابة، جامعة عبد الرحمن ميرة - بجاية..، ومراكز جامعية، منها: المركز الجامعي مرسلبي عبد الله - تيبازة، المركز الجامعي نور البشير - البيض، المركز الجامعي - بركة.. إلخ. وتختص كل مؤسسة جامعية بمجموعة من التخصصات، وقد تشترك ومؤسسات أخرى كذلك، فمثلا تخصص علم اجتماع الاتصال يدرس في جامعة باجي مختار - عنابة، ويدرس أيضا في جامعة الشاذلي بن جديد بالطارف، علما أن الجامعتين متجاورتين جغرافيا. أما عن مدة الدراسة ضمن تخصص علم الاجتماع، فإنها تستغرق 08 سنوات (03 سنوات ليسانس، 02 سنتين ماستر، 05 سنوات دكتوراه)، وذلك وفق النظام التعليمي الجديد L.M.D، الذي باشرته وزارة التعليم والبحث العلمي منذ مطلع الألفية، عبر أربع جامعات نموذجية، ثم عم لاحقا وبالتدرج، حتى شمل معظم جامعات الجزائر.

هذا، وتمثل التخصصات التالية: علم اجتماع العمل والتنظيم، علم اجتماع الاتصال، علم اجتماع التربية، علم اجتماع الصحة، علم اجتماع الجريمة والانحراف، أهم التخصصات التي تدرس في الجامعات الجزائرية، وهي متوفرة سواء كلها أو بعضها ضمن أغلب أقسامها، نظرا لأهميتها في تناول العلمي للعديد من المشكلات الاجتماعية، التي تدرج في مجالها، ونشير أن التخصص في علم الاجتماع يكون في مرحلة الماستر، أما سابقا عهد النظام الكلاسيكي فكان التخصص يزاول في مرحلة الليسانس، بعد الدراسة لمدة سنتين جذع مشترك علم اجتماع عام. وفيما يلي، عينة عن بعض التخصصات التي تدرس في الجامعة الجزائرية، لاحظ الجدول الموالي.

الجدول 1: يظهر عينة عن بعض التخصصات التي تدرس في الجامعة الجزائرية



/ العدد: 02../2024

عنوان المقال الممارسة السوسيولوجية في الجزائر بين الأهداف الأكاديمية والمعوقات الوظيفية

ص 47-59

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

الجامعة	تخصصات علم الاجتماع (ماستر 1 و2)
جامعة المسيلة	- علم اجتماع التنظيم والعمل - علم اجتماع التربية
جامعة عنابة	- علم اجتماع الانحراف والجريمة - علم اجتماع الصحة - علم اجتماع تنظيم وعمل
جامعة قسنطينة	- علم اجتماع الحضري - علم اجتماع التربية - علم اجتماع تنظيم وعمل
جامعة بسكرة	- علم اجتماع الحضري - علم اجتماع التربية - علم اجتماع تنظيم وعمل
جامعة قالمة	- علم اجتماع الحضري - علم اجتماع الاتصال - علم اجتماع الصحة
جامعة الطارف	- علم اجتماع التنظيم والعمل - علم اجتماع الاتصال

المصدر: عينة قصدية ممثلة عن الجامعات المذكورة أعلاه (أستاذ عن كل جامعة)

علما، أن دراسة هذه التخصصات تسبقها دراسة قاعدية ضمن علم الاجتماع العام، وذلك ضمن مرحلة الليسانس، وهي تركز على جانبيين: النظري والتطبيقي. وفيما يلي، عينة عن أهم الموضوعات التي عالجتها بعض تخصصات علم الاجتماع خلال العقدين السابقين، نذكر منها:

الجدول 2: يعرض عينة من أطروحات الدكتوراه

عنوان الأطروحة	التخصص	سنة الإنجاز	المؤسسة الجامعية	السياق الاجتماعي والسياسي للإنجاز
الجنور التاريخية والإيديولوجية للحركة الإسلامية في الجزائر -أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم-	علم اجتماع التنمية	2010/2009	جامعة منتوري- قسنطينة	الفترة اللاحقة على المصالحة الوطنية التي سبقتها عشرينين من الزمن ميزها الانتشار والتوسع الذي عرفته الحركة الإسلامية في الجزائر بغرض بسط أفكارها وطروحاتها
العنف اللفظي الأسري من	علم	2011/2010	جامعة الجزائر 2	تنامي ظاهرة العنف لاسيما داخل



/ العدد: 02../2024

عنوان المقال الممارسة السوسيولوجية في الجزائر بين الأهداف الأكاديمية والمعوقات الوظيفية

ص ص 47-59

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

البيئة الأسرية نتيجة للتحويلات البنوية والقيمة التي مست بنية العائلة والقيم المرتبطة بها تزامنا وإعادة النظر في جرائم القذف والسب من طرف المشرع الجزائري			اجتماع التربية	المنظور السوسيولوجي دراسة حالة للخلفية الأسرية والزوجية لبعض النساء المعنفات في: مركز لنساء في الشدة S.O.S Femmes en Détresses ومركز دارنا Centre Darna des femmes victimes et du Code de La Famille -أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم-
تراجع دور المجتمع المدني في الجزائر خاصة على مستوى الجمعيات المحلية حيث يشوب الغموض دورها إذ ينعكس ذلك في التناقض الواضح بين عددها وأدائها الهزيل	جامعة محمد خير - بسكرة	2015/2014	علم اجتماع التنمية	واقع المجتمع المدني في الجزائر دراسة ميدانية لجمعيات مدينة بسكرة أنموذجا -أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم-

جدول (3) يعرض عينة من رسائل الماجستير و الماستر

عنوان الرسالة	التخصص	سنة الإنجاز	المؤسسة الجامعية	السياق الاجتماعي والسياسي للإنجاز
التنشئة الاجتماعية وتأثيرها في سلوك المنحرفين الأحداث دراسة ميدانية بالمركز المختص لحماية الطفولة -مذكرة مكمل لنيل شهادة الماجستير -	علم الاجتماع القانوني	2010/2009	جامعة الحاج لخضر - باتنة	تنامي ظاهرة انحراف الأحداث خاصة مع انفجار ثورة المعلومات وتعاظم دور شبكات التواصل الاجتماعي أين أصبحت وسائل الإعلام الحديثة تراحم أساليب التنشئة التقليدية
البناء الفوضوي ومشكلة التنمية العمرانية دراسة ميدانية لمدينة باتنة حي أولاد بشينة أنموذجا -مذكرة مكمل لنيل شهادة الماجستير -	علم الاجتماع الحضري	2009/2008	جامعة منتوري - قسنطينة	انتشار ظاهرة البناء الفوضوي أو ما تعرف بالأحياء غير المخططة والتي تكون على تخوم المدن والمراكز الحضرية وما تسببه من مشكلات تضر بعملية التنمية والتوسع العمراني المخطط والمدروس من طرف الدولة
تأثير وسائل الإعلام والاتصال على التماسك الأسري عينة من الأسر المقيمة ببلدية عين الكرامة -مذكرة مكمل لنيل شهادة ماستر أكاديمي -	علم اجتماع الاتصال	2020/2019	جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف	برزت العديد من هذه الدراسات والأبحاث التي تسلط الضوء على التأثير الخطير على التماسك الاجتماعي بما فيه الأسري نتيجة تغلغل وسائل الإعلام وتكنولوجيات الاتصال الحديثة في عمق الحياة العائلية لاسيما على مستوى العلاقات والتفاعل الاجتماعي



- ويحقق علم الاجتماع من خلال تخصصاته المختلفة، جملة من الأهداف الأساسية، يمكن حصرها فيما يلي: (حمداوي، 2015، الصفحات 11--12)
- بناء معرفة علمية وموضوعية حول المجتمع وبنياته الفرعية وعلاقة ذلك بالأفراد الفاعلين؛
 - التوصل إلى مجموعة من القواعد والبنى الثابتة والمتغيرة التي تتحكم في المجتمعات بنية ودلالة ووظيفة؛
 - وصف المجتمع وتشخيصه فهما وتفسيرا وتأويلا بغية الحفاظ عليه أو إصلاحه أو تغييره؛
 - إدراك الفوارق بين الثقافات والمجتمعات بمعرفة أسلوب التعامل مع الآخرين، وتقادي المشكلات الناتجة عن اختلاف التجارب المجتمعية، مثل: الاختلاف بين البيض والسود؛
 - دراسة الوقائع والحقائق والعمليات الاجتماعية دراسة علمية بغية الاستفادة منها على صعيد وضع السياسة العامة للدولة أو المجتمع؛
 - تقويم نتائج المبادرات السياسية المتبعة في إصلاح المجتمع وتغييره أو الحفاظ عليه؛
 - التنوير الذاتي وتعميق فهمنا لأنفسنا بشكل جيد؛
 - حل المشكلات الإنسانية التي يعاني منها الأفراد والجماعات؛
 - بناء الإنسان داخل المجتمع بناء تكوينيا سليما والسمو به في مراتب الفضيلة والسعادة والكمال والرفع من قيمته المادية والمعنوية والأخلاقية والزيادة في درجة رفاهيته وازدهاره؛
 - دراسة أنماط السلوك الاجتماعي وآثاره ودوافعه على الفرد والجماعة.

إن الأهداف الأكاديمية المتوخاة من الاحتفاظ بعلم الاجتماع ضمن منظومة التعليم العالي، والانشغال بتطوير برامج، يتمحور أساسا في التحسيس بالمشكلات الاجتماعية المستجدة في الحياة الاجتماعية، ومحاولة كشف وتحديد عوامل تكونها ونشأتها في المجتمع، وصياغة أطر تفسيرية لفهمها، والتنبيه إلى أساليب مواجهتها، بما هو متاح وممكن، وذلك على اختلاف مستويات البحث العلمي (دكتوراه، ماجستير/ أو ماستر)، غير أن العديد من العراقيل والصعوبات الميدانية، حالت دون دراسة وتحليل الكثير من الموضوعات الشائكة والحساسة في المجتمع، والتي تستلزم البحث السوسيولوجي، أو بالأحرى تقع ضمن انشغالات العديد من تخصصات علم الاجتماع، التي تدرس في الجامعة الجزائرية. وعليه، فإننا نتساءل: فيما تتمثل معوقات الممارسة السوسيولوجية في الجزائر؟

رابعا: المعوقات الوظيفية للممارسة السوسيولوجية في الجزائر

بادئ ذي بدء، نجد من الضرورة بمكان توضيح المراد بالمعوق الوظيفي، خاصة وأنه مصطلح وظيفي، صاغه رائد البنيوية الوظيفية عالم الاجتماع الأمريكي روبرت مرتون R. Merton وهو يمثل إضافة مهمة لتلك النظرية، كونه يبين كيف ينتج الخلل الوظيفي داخل النسق. وإذا كانت الوظيفة تنطلق من قضايا محددة، تسلم بأن المجتمع يمثل كلا مؤلفا من أجزاء مترابطة، يؤدي كل منها وظيفة من أجل خدمة أهداف الكل، وتحقيق التكامل بين تلك الأجزاء، فإن هذا التكامل لا يتم دائما على نحو مثالي، وبالتالي فمن المتوقع أن يشهد النسق بعض الانحرافات والتوترات والضغوط، التي تمثل معوقات وظيفية تحول دون أداء وظائفه على النحو المرغوب فيه، وهو ما يمكن إسقاطه كذلك على علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية.

هذا، ويشير مفهوم المعوق/ أو المعوقات الوظيفية حسب ميرتون إلى "تقصير بعض النظم الاجتماعية عن أداء وظائفها من أجل الحاجات الاجتماعية" (أسباب المعوقات الوظيفية). غير أن المفهوم ضمن هذه الورقة، سيتم استخدامه على مستوى وظيفي خاص بالجماعة العلمية/ أو الأكاديمية، والمجتمع بما يضم



من مؤسسات ومنظمات، باعتبارها مياديننا للدراسات السوسيولوجية. وبحكم انتمائنا إلى الوسط الأكاديمي، وتخصصنا في علم الاجتماع، وخبرتنا المتواضعة في التدريس والإشراف على انجاز رسائل التخرج، فإنه يمكن تقيئة المعوقات الوظيفية للممارسة السوسيولوجية في الجزائر إلى اثنتين: أكاديمية ومؤسسية، نوردتها على النحو التالي:

1.5. المعوقات الأكاديمية:

يضم الوسط الأكاديمي مختلف الفاعلين في عمليتي التدريس والبحث العلمي، وبذلك فهو يشمل الأساتذة والباحثين والطلاب أو ما يصطلح عليهم "الجماعة العلمية"، وتنشط هذه الأخيرة في إطار ما تنتجه الظروف للإنجاز والابتكار العلميين، وعليه فإن طبيعة العلم في حد ذاتها، يمكن أن تحدد مدى تقدمه. لكن، وبخصوص العلوم الاجتماعية يكون الوضع مختلفا عنه بالنسبة للعلوم الفيزيائية أو الفلكية..، لأن التعامل الميداني سيقصر على الجماعات الاجتماعية أو العينات البشرية، لا على مواد الطبيعة أو الظواهر الكونية مثلا؛ والتي تنصف بالثبات حيث يمكن التعميم والتنبؤ معها بسهولة. وعليه، يستدعي البحث السوسيولوجي معرفة السياقات الثقافية والاجتماعية والتاريخية والسياسية لتشكل الظاهرة الاجتماعية محل الدراسة، إذ هي تنصف بالتعقيد، مما يتطلب من الأستاذ أو الباحث، أن يكون ملما بتفاصيل وحيثيات بحثه وأبعاده المختلفة، وأن يتحلى بقدرة عالية على الاتصال الاجتماعي، والتحليل الموضوعي للظواهر الاجتماعية باعتبارها شيئا خارجيا عن ذاته، وذلك بإحداث قطيعة معرفية (إبستمولوجية) وثقافته المحلية أو مرجعيته الدينية والإيديولوجية، والابتعاد قدر الإمكان عن الاعتقادات والآراء الشخصية، وتشكل هذه القدرات أهم سمات الباحث الاجتماعي، ويعد افتقادها أو انتقاصها معوقا وظيفيا، حيال انجاز الدراسات والأبحاث العلمية في علم الاجتماع، والتوصل إلى نتائج علمية موضوعية ودقيقة.

وزيادة على ما تم تناوله، فإن خصوصية المعوقات الوظيفية للممارسة السوسيولوجية في الجزائر، ترتبط بسياسة الدولة، ذلك أن الإسراع في عمليتي تعريب وجزارة تخصص علم الاجتماع - بغرض تحريره من الهيمنة الفكرية الكولونيالية- كانت له انعكاسات وخيمة على تطور البحث السوسيولوجي في الجزائر، لأن الأساتذة الجزائريين آنذاك، لم تكن لهم الخبرة الكافية ولا التأهيل اللازم، لتطوير الممارسة السوسيولوجية على وجه العموم، فتكوينهم في مجمله كان غربيا (منتجات الجامعة الفرنسية)، وعليه فإن التناول السوسيولوجي للمشكلات الاجتماعية المحلية، بكل خصوصياتها الثقافية، كان صعبا وأن الأطر التفسيرية الغربية لم تكن كفيلة ولا مناسبة لفهمها، فتأسست بذلك حالة اغتراب معرفي بين علم الاجتماع والمجتمع الجزائري، فلم يؤسس الرعيل الأول من الأكاديميين والأجيال اللاحقة، تراثا وخبرة مشتركة، تمكن من تطوير عملية البحث الاجتماعي.

كما يعتبر علم الاجتماع وعلى غرار كل العلوم الاجتماعية في الجامعة الجزائرية، تخصصا علميا من الدرجة الثانية، لذلك تنعدم مختلف المحفزات للبحث السوسيولوجي وبخاصة المادية منها، إذ لا يحظ الباحثون في علم الاجتماع بمكافآت أو جوائز نظير إسهاماتهم في مجال البحث العلمي، كما أن أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير أو الماستر، لا يستفاد منها في عملية التخطيط الاجتماعي، ولا ضمن المخططات التنموية، وإنما تتركز في رفوف المكتبات الجامعية، وكأنها لا تغدو إجراء لاستكمال تخرج الطلبة.

أما عن مخاطر البحث الاجتماعي، فإن جل نشاطاتها العلمية توصف بالهزيلة، وذلك نتيجة حتمية للتهميش الذي تتعرض له البحوث السوسيولوجية، وكذا الإحباط الذي يعاني منه الباحثون الاجتماعيون تبعاً، وعليه فإن العديد من مخاطر البحث الاجتماعي قد تم غلقها، عقب المراقبة الدورية لنشاط المخابر والتي تقوم بها الوزارة المعنية.

5.2. المعوقات المؤسسية:

تتمثل المعوقات المؤسسية في مختلف المعوقات التي تخرج عن الوسط الأكاديمي، وترتبط بثقافة المؤسسات الاجتماعية، والتي لا زالت تحمل نوعا من العدائية والانتقاص من دور علم الاجتماع وقدرته على دراسة وتحليل المشكلات الاجتماعية، رغم أن الممارسة السوسيولوجية في الجزائر تزيد عن النصف قرن (50 عاما)، ونعتقد أن لذلك صلة وثيقة بوضعيته أكاديميا، فالصورة المشوهة التي يحملها المجتمع عن علم الاجتماع، هي انعكاس لتهميشه وانتقاصه علميا من طرف الدولة (علم درجة ثانية)، خاصة بعد تحرره من وظيفته الإيديولوجية، فظل بذلك علما لا يتعدى صده جدران الجامعة. وهذا ما دفع الطلبة "الحاصلين على شهادة البكالوريا للنفور منه، وجعله آخر فرصة لهم من بين الاختيارات الممنوحة لهم، نظرا لتصوراتهم بأن هذا التخصص لا يضمن لهم مستقبلا مهنيا" (عودة، 2017، صفحة 147)، إذ هو علم تجريدي لا جدوى منه، ولا يسهم في تنمية المجتمع وإخراجه من دائرة التخلف، بينما تختلف النظرة المجتمعية تماما حول أهمية ومكانة العلوم التكنولوجية، الطبية، الهندسة والرياضيات..إلخ.

هذا، وتفتقر العديد من المؤسسات والمنظمات في المجتمع الجزائري إلى ثقافة البحث العلمي، وتتنظر إليه على أنه تدخل في شؤونها أو تشهير لها أو نوع من الجوسسة عليها من طرف المنافسين، كما أن لخصوصية بعض المؤسسات دور رئيسي في عدم التعاون والبحث السوسيولوجي، خاصة فيما يتعلق بالمؤسسات العسكرية والأمنية والقضائية، الأمر الذي يفسر عدم الخوض في دراسة الكثير من المشكلات الاجتماعية ذات الطابع الأمني، بل ونلاحظ غياب تخصص علم الاجتماع الأمن في الجامعة الجزائرية، على اعتبار أن "الأمن ظاهرة أو ممارسة اجتماعية، ويجب - خلال السنوات القادمة - العمل على تطبيق أدوات التحليل السوسيولوجي عليها، خاصة بعد أن أصبحت الهموم والمعضلات المرتبطة بالأمن جزءا أساسيا من حياتنا الفردية والجماعية، التي تلقي بتأثيراتها القوية على تشكيل طبيعة العلاقات الاجتماعية، سواء من خلال الخطاب أو الممارسة" (أبودوح). وبالتالي نلاحظ أن العديد من التخصصات السوسيولوجية ظلت تستهلك الموضوعات نفسها، دون أن تقدم نتائج جديدة ومغايرة أو الإضافة إلى رصيد التخصص.

كما يعاني علماء الاجتماع في المجتمعات التقليدية والمحافظات والمجتمع الجزائري منها، تطويقا وتضييقا شديدين في أداء وظائفهم العلمية-الأكاديمية، لأجل تناول العديد من الموضوعات التي تصنف ضمن الطابوهات لديها، والتي يمكن أن تخذش الحياء الاجتماعي لمجرد الإشارة إليها، تماما كالموضوعات الجنسية والأخلاقية وبعض العادات الجمعية، التي تكتسي طابع القدسية الاجتماعية، لارتباطها بقيمة الشرف، مثلا: العادات المرتبطة بليلة الدخلة، المثلية الجنسية، الانحرافات الجنسية لدى المرأة، الدعارة والاعتصاب..إلخ، وإن كانت هذه المشكلات موجودة في المجتمع، إلا أن تناولها يكون أمرا في غاية الصعوبة، لعدم وجود العينة المطلوبة، فطبيعة هذه الموضوعات تسبب حرجا كبيرا بالنسبة للأفراد الذين تشملهم الدراسة، مما يشكل حاجزا نفسيا وثقافيا، يمنع تعاونهم في هكذا بحوث، فهي تدخل لديهم في اللامقول **Le Non Dit**، وهذا لتعودهم عن عدم الحديث أو الخوض في مثل هذا النوع من الموضوعات، وأكثر من ذلك لكونها ترتبط بسمعتهم الشخصية، التي هي من سمعة العائلة أو القبيلة، إنها ببساطة موضوعات غير قابلة للنقاش. ولذا، نجد أن العديد من الموضوعات الجديرة بالدراسة مسكوت عنها، ولا يمكن دراستها، مهما بلغ الباحث الاجتماعي من كفاءة وحكمة.

خاتمة:

ناقلة القول، يعد علم الاجتماع أحد أهم العلوم الاجتماعية، التي تتناول دراسة وتحليل الحياة الاجتماعية، من حيث الظواهر الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية المتولدة عن عمليات اجتماعية تتمثل



في التفاعل والاتصال والصراع الاجتماعي، وأي اختلالات قد تعوق/ أو تؤثر على البنى الاجتماعية ووظائفها، غير أن هذه الممارسة السوسيولوجية، وضمن أي مجتمع، قد تعترضها جملة من الصعوبات والمعوقات الوظيفية، التي تحول دون تحقيق الأهداف الأكاديمية المتوخاة من تدريس علم الاجتماع في الجامعة، وضمن هذا المقال تم التعرض إلى معوقات الممارسة السوسيولوجية في الجزائر، حيث تم حصرها بين الأكاديمية (الجامعية) والمؤسسية (المجتمعية)، فكان الهدف الأساسي من تناول هذه المعوقات هو التعرف على طبيعتها، وكشف مكان تأثيرها في ممارسة علم الاجتماع، لاسيما مع تعقد الحياة الاجتماعية، وبرز الحاجة إلى التحليل السوسيولوجي، وإسهاماته (بكل تخصصاته) في صياغة أطر تفسيرية للظواهر الاجتماعية المستجدة في المجتمع الجزائري.

الإحالات والمراجع:

1. أبودوح، خالد كاظم. (بلا تاريخ). علم اجتماع الأمن- محاولة للتأصيل. تاريخ الاسترداد 07 22 2021، من <https://www.mominoun.com>
2. أسباب المعوقات الوظيفية. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 07 20 2021، من <http://www.abahe.uk>
3. بن عودة، نصر الدين. (2017). مكانة علم الاجتماع في الجزائر. مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، 04 (01).



4. البياتي، فراس عباس. (2011). دراسة تحليلية للنشأة والتطور. عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع.
5. حمداوي، جميل. (2015). ميادين علم الاجتماع (المجلد 01). شبكة الألوكة.
6. دينكن، ميشيل. (1980). معجم علم الاجتماع. (إحسان محمد الحسن، المحرر) بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام.
7. دياب، محمد حافظ. (1990). علم الاجتماع في الجزائر: الهوية والسؤال. مجلة المستقبل العربي (134).
8. لموالي، عواطف عطيل. (2018). ابن خلدون وعلم العمران البشري. مجلة تاريخ المغرب العربي (09)، 189-220.
9. معتوق، جمال. (2004). علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا (الإصدار 01). الجزائر: دار الإمام مالك للنشر والتوزيع.
10. نوار، مربوكة. (1998-1999). تدريس علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية: دراسة المشكلات والطرائق والحلول-أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع.. قسم علم الاجتماع. كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. جامعة باجي مختار.. عنابة